الفصل الثاني

سيكولوجية الطفل الموهوب

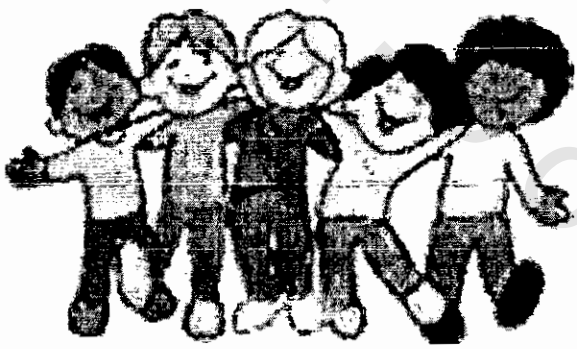

يتمني الآباء والأمهات لو أن ابنهما أو ابنتهما كان من الأطفال الموهوبين،و لاشك أن الطفل الموهوب هو أثمن عطية يمكن أن يمنحها الخالق عز وجلّ للآباء والأمهات؛فالطفل الموهوب طفل مرح تستشعر السعادة وأنت بالقرب منه،كما تجد المتعة في مراقبة حركاته وفي الاستماع إلي أسئلته،وملاحظة لمعان فكرة وسرعة بديهته وهو يتعامل ويتصرَّف في شتي الأمور.

علي أن الأطفال الموهوبين شأنهم شأن غيرهم من أطفال قد يصبحون نكبة علي أنفسهم وعلي ذويهم إذا ما أُسيئ توجيههم ولم يتفهم القائمون علي أمرهم مراميهم ومقاصدهم.ولكن هؤلاء الأطفال في الأحوال العادية،وفي ظل التوجيه السليم يستجيبون للاستجابات السوية ويبدون ما يُبديه غيرهم من أطفالٍ عاديين من صداقة وألفة وود.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأطفال الموهوبين يتحدثون عن اهتماماتهم وميولهم وأنشطتهم ومطامحهم بكثرةٍ، وعلي مستوي الكبار،وأكثر من هذا فإنَّهم ينصتون إلي الآباء والمُعلِّمين بحماس عندما يقومون بمناقشة أمورهم الخاصَّة إذا ما تحروا الصدق فيما يقولونه والتزموا الجد في أحاديثهم،ومن المدهش أن الأطفال الموهوبين يكونون في هذا المجال ناضجين بدرجةٍ تستدعي الانتباه وتُثير العجب فهم يتعلَّقون بمن يستحقون التقدير من البالغين ويكافئونهم بالإصغاء إليهم وفهم مراميهم واهتماماتهم.وإذا ما كان الآباء أو المُعلِّمون غير مخلصين وغير صرحاء معهم،فإنَّهم سرعان ما يقفون علي ما في صدورهم من عدم الإخلاص بالرغم من عدم تعبيرهم عن ذلك في غالبية الأحيان؛فالطفل الموهوب يقوم بعملية تقويم مستمر لمن يحيطون به من الكبار،وكلَّما أخذ ذلك الطفل في النمو ازدادت قدرته علي الاضطلاع بالتقدير الدقيق للناس وبالتفكير النقدي للمواقف،وهو عندما يتقبَّل رأياً، وعندما يقدر شخصاً،فإنَّه يتقبَّله ويقدره بغبطةٍ وارتياحٍ.

ولكن لابد أن نضع في اعتبارنا أن الأطفال الموهوبين هم أطفال قبل كل شئ آخر:فهم إذاً في حاجة إلي حُبّ الآخرين لهم وحمايتهم ومرافقتهم وإبداء الرضي لهم،كما أنَّهم في حاجةٍ إلي توافر الباعث الذي يدفعهم إلي العمل،وإلي مجابهة بعض المصاعب التي تتحدي أذهانهم،وإلي فرص يمتحنون في ضوئها قوتهم ويُعبِّرون من خلالها عن أفكارهم ومشاعرهم،كما أنَّهم يحتاجون إلي توجيه وتقدير،وإلي كل العوامل التي تدفع إلي نموهم بنجاح كسائر الأطفال.والواقع فإن الوالدين الذين يتمكنان من توفير جو عائلي سليم لأطفالهم يوفران في الغالب تلك الشروط اللازمة لنمو الطفل الموهوب علي نحوٍ مرضٍ. وكذلك إذا تهيأت الفرصة للصِّغار الذين من اتجاهات واحدة،وقدرات واحدة،واهتمامات واحدة للاتصال بعضهم ببعض،فإنَّهم يكونون سُعداء،نشطين،ومتوافقين بوجهٍ عام.

وعندما تتسع دائرة الطفل الموهوب وتتعقد العلاقات الاجتماعية به بتعقد المجتمعات التي يتصل بها، فإن مدي قدرته علي الوقوف علي أصدقاء له في القدرة العقلية تصبح مشكلة علي جانبٍ كبير من الصعوبة،ذلك لأن أنشطة الآخرين من الأطفال تبدو علي نحوٍ لا يرضيه،كما أنَّها لا تكون علي نفس مستواه العقلي،الأمر الذي لا يعمل علي إشباعه وتحقيق التوافق السوي،وممَّا يُزيد المشكلة تعقيداً أن المدرسة قد لا تأخذ في اعتبارها ـ

عادةً ـ عند تقرير مناهجهاً إلاَّ الطفل المتوسط أو فوق المتوسط.أمَّا الطفل الموهوب فإنَّه لا يخطر علي بال واضعي مناهج المدارس العادية،إذاً فليس من المستغرب أن نُشاهد بعض الاضطرابات في طريقه توافق الموهوب في الحياة المدرسية التي تُحيط به،وعدم اكتراثه بشكلٍ واضح بما يشيع بها من أنشطةٍ وبالتالي فإننا نجد الطفل الموهوب قد يجلب بعض المتاعب في كثيرٍ من الأحيان لا لأنَّه شخص يهوي جلب المتاعب،بل لأن القائمين علي أمره لم يهيئوا لهُ الظروف المناسبة لإشباع حاجاته العقلية،ولم يخططوا له برنامجاً مناسباً لكفايته والواجب أن تؤخذ"الفروق الفردية"بين القدرات العقلية في الاعتبار شأنها شأن الفروق الجسمية أو غيرها من الفروق.

ومن جهةٍ أُخري فإن المجتمع في حاجةٍ دائمةٍ إلي رعاية أصحاب المواهب الذين سوف يصبحون علماءً وأدباءً وزعماءً وروَّادا في المستقبل،فإذا لم نقم برعايتهم خير رعاية ونُهيئ الجو المناسب لظهور مواهبهم،فإن الخسارة سوف تقع لا محالة علي كاهل المجتمع نفسه؛ وبالتالي تضيع فرصة ارتقاء الأمة في الأجيال القادمة، وهو ما يجب أن نسعى إليه في تربية الجيل الجديد، فليست التربية الحقيقية الجديرة بالتقدير هي تلك التربية التي تأخذ في اعتبارها الجيل الناشئ فقط ،بل إنَّها أيضاً التربية التي تتطلَّع إلي المستقبل البعيد حيث تقبع الإنسانية في الأجيال القادمة.

علي أن التربية المناسبة للموهوبين لا تتأتي بالصدفة، بل إن التربية لا تقوم إلاَّ علي دعائم متينة من التخطيط الدقيق المستنير، إذاً فليست تربية الموهوبين من أجل الموهوبين أنفسهم فحسب، بل لأجل الأجيال المقبلة في نفس الوقت.

❖ مصطلح الموهوبية: Giftedness

وبما أننا بصدد التحدُّث عن الطفل الموهوب،فإننا سوف نتناول أحد أهم المصطلحات التي راحت تُحدِّد مَنْ هو الطفل الموهوب،المصطلح هو"الموهوبية"،وهو ظهور الفرد بين الآخرين بشكلٍ بارزٍ،ومتفوق في الأداء في مجالٍ أو أكثر من المجالات التي ترتبط بالنشاط الإنساني،بشرط أن يكون هذا المجال موضع تقدير من الجماعة.

ولمَّا كان التفوُّق يرتبط دائماً بمستويات الأداء السائدة في جماعة مُعيَّنة،فإن "الموهوبية" مفهوم ثقافي ونسبي،أي يختلف من جماعة إلي أُخري،ومن مرحلةٍ زمنيةٍ إلي مرحلةٍ أُخري، وذلك وفقاً لاختلاف مستوي التطوُّر في المجتمع وما يتطلَّبه التطوُّر من طاقات شخصية للإنجاز وتحقيق التفوُّق،ولا شك أن وجود هذا البُعد الثقافي كمحدِّد في تعريفات"الموهوبية"أو التفوق جعل الأمور تبدو متباينة أحياناً،والسبب في هذا الاختلاف مرجعه النسبية زماناً ومكاناً.

ومن التعريفات الشهيرة لـ"الموهوبية"،ما ورد في الكتاب السنوي للهيئة الأمريكية للتربية العام 1958م،حيث عرَّفت الفرد الموهوب بأنَّه:" الفرد الذي يُبدي تفوقاً وتميُّزاً مستمراً في أحد مجالات الإنجاز في الحياة الإنسانية".وهذا التعريف لم يُقصر مفهوم "الموهوبية"علي الأداء العقلي،بل امتد ليشمل الأداء في مختلف مجالات النشاط الإنساني كالموسيقي، وكتابة القصص،وقرض الشعر،والأداء التمثيلي،والمهارات اليدوية،والألعاب الرياضية، والقيادة الاجتماعية،كما أن التعريف يُركز علي التفوُّق باعتباره قدرة وأداء معاً.

ومن ناحية أُخري نجد تعريفات"الموهوبية"قد حصرت المفهوم في نطاق ضيق حيث ربطته بالنجاح المدرسي ونظرت إليه علي أنَّه تفوُّق في التحصيل الدراسي،فأصبح الموهوب ـ وفق هذا التعريف ـ هو الفرد الذي يقع تحصيلياً عند مستوي أعلي من 85٪ من أي مجموعة عشوائية من أقرانه في العُمْر الزمني،كما إننا نجد البعض قد نظر إلي "الموهوبية" من منظور الذكاء فقط،فحدَّدها بنسبة الذكاء التي تصل إلي14.فأكثر.وهناك من قرن بين نسبة الذكاء والتفوق التحصيلي،وبذلك نُظر إلي"الموهوبية"ليس باعتباره قدرة وإمكانية بل كأداء وإنجاز قد حُقق فعلياً في شكل تحصيل دراسي؛فالفرد المتميِّز في نسبة ذكائه ويعجز عن أن يعكس هذا الامتياز دراسياً لا يُعتبر موهوباً حقاً،ولكن فقط لديه الاستعداد لـ "الموهوبية"!!

وتلك التفرقة في النظرة إلي"الموهوبية"قد قسمَّت الباحثين إلي فريقين:فريقٌ يُركِّز علي "الموهوبية" كعملية Process،وفريقٌ يهتم بها كإنتاج Product.

و"الموهوبية"ظاهرة شاملة ومُركَّبة،وهناك جهود حثيثة من المتخصصين لإنشاء مقاييس لقياس جوانبها المُتعدِّدة.ولا شك أن التقدُّم في مجال بناء أدوات لقياس القدرات الابتكارية، ووضع مقاييس لتقدير خصائص الموهوبين،إلي جانب استخدام اختبارات الذكاء،سوف يُسهم كل هذا في تحقيق نظرة أكثر شمولية وتكاملاً لظاهرة"الموهوبية"باعتبارها مفهوماً شاملاً ومُتعدِّد الجوانب.

❖ أبحاث العلماء حول مفهوم الطفل الموهوب:

استخدمت عبارات مختلفة ومُتعدِّدة في الدوائر المهنية وغير المهنية في الدلالة علي الطفل الموهوب،منها:النابغة،المتفوق،المُتقد الذكاء..وغير ذلك.وكلُّها تدل علي المقدرة الفائقة في مجالٍ ما مع التفوق العقلي.وفي الحقيقة تنسب هذه التعريفات إلي الدراسات العميقة المشهورة التي أُجريت علي الأطفال الموهوبين والتي قام بها"لويس.م.تيرمان"في جامعة "ستانفورد" ،و"ليتا.س.هولنجورث"في جامعة"كولومبيا"،وكان العنصر الأساسي في اختيار الأطفال للفصول التجريبية في مجموعة"تيرمان"لا تقل عن140، وذلك باستخدام اختبار الذكاء"ستانفورد ـ بينيه"والقبول في فصول"هولنجورث"للموهوبين يجب أن يحصل الطالب علي نسبة ذكاء لا تقل عن 130في اختبار"ستانفورد ـ بينيه"،وأن يجتاز كذلك اختبارات تقيس النضج الانفعالي،والتوافق الاجتماعي،واللياقة البدنية.

كما يُستخدم لفظ موهوب إلي أقصي حد لكي يُشير إلي قسم صغير من مجموعة الموهوبين الذين لديهم مستوي عالٍ جداً من القدرة،والذين تُمكنهم قواهم الكامنة من الإسهام بنصيبٍ أصيل وفاعل في حضارة ورفاهية مجتمعهم،بل وفي حضارة ورفاهية الأجيال التالية للإنسانية بوجهٍ عام.ويمكن تصنيف هذه المستويات من الذكاء باستخدام بعض الاختبارات الفردية للذكاء كاختبار"ستانفورد ـ بينيه"علي النحو التالي:

أولاً: المتفوقون،وهم الحاصلون علي مُعدل ذكاء يتراوح فيما بين 125،120وهم يمثلون الصفوة الواقعية فيما بين5٪،10٪ من أطفال المدرسة غير المختارين.

ثانياً: الموهوبون،وهم الحاصلون علي مُعدل ذكاء يتراوح فيما بين140،135.وهم يُشكلون1٪،3٪ من أطفال المدارس العامة.

ثالثاً: الموهوبون جداً،وهم الحاصلون علي مُعدل ذكاء يتراوح فيما بين170،180 بل وأعلي من ذلك،ويبلغ عددهم بين عُشر،و1٪ من مجموع الموهوبين.

كما صنَّف"دنلاب" Dunlap الأطفال ذوي القدرة العقلية العالية إلي:أطفال متفوقين،وأطفال موهوبين،وأطفال موهوبين جداً،وهو يُشير هنا إلي مجموعة الأطفال الذين يزيد معدل ذكائهم عن 130،125.،حيث يكون لديهم غالباً مُعدل ذكاء فيما بين150، 180وأعلي من ذلك أيضاً،ويكون هؤلاء الأطفال فيما بين 2٪،7٪ من مجموعة الأطفال وهي نسبة أكبر ممَّا كان يتوقع.

وتؤكِّد البحوث الحديثة أن الموهبة ذات صلة وثيقة بالذكاء،وأن أصحاب المواهب أُناس توفرت لهم ظروف بيئية ساعدت علي إنماء ما لديهم من طاقة عقلية،وتمايزها في اتجاه الموهبة،وإن نجاح الفرد يُثير لديه قدراً مناسباً من الدافعية للمثابرة والدأب،وهذا بحد ذاته يُحقِّق للفرد أداءً ممتازاً في المجال الذي برزت موهبته فيه.

والعَالِم"جاكسون"،و"ياماموتو"أكدا أن الطفل الموهوب هو مَنْ يمتاز بقدراتٍ إبتكاريةٍ عاليةٍ. فتؤكِّد الدراسات التي أُجريت علي الموهوبين في الفن والموسيقي وفي عمل الاختراعات الميكانيكية،أن أي عمل فذ لا بد أن ينطوي علي ابتكار،وبالتالي يكون صاحبه علي مستوي عالٍ من القدرة العقلية.وعلي أساس هذا نجد أن الموهبة هي:" القدرة علي الابتكار في تحصيل الفرد في مجالٍ أو أكثر،والقدرة علي الابتكار هذه،إلي جانب مكوناتها العادية كالذكاء، تنتج منها أعمال ذات قيمة عالية تعتمد علي مكونات أُخري ليس من السهل إدراكها".

وهناك مَنْ يُفضلون الأخذ بمفهوم علي جانب أكبر من العمومية،فإنَّهم يستخدمون لفظ موهوب لكي يُشيروا إلي أولئك الأطفال الذين يتمتعون بقدرةٍ خاصَّةٍ في الفن أو الموسيقي،أو فيما يتعلَّق بالمهارات الميكانيكية،أو أولئك الذين لديهم قدرات خاصَّة بقيادة الأفراد.ولقد أورد"وتي"Witty تعريفاً للطفل الموهوب،وهو التعريف الشائع الآن،علي النحو التالي:" إنَّه الطفل الذي يُبدي بشكلٍ ظاهر قدرة واضحة في جانبٍ ما من جوانب النشاط الإنساني".ويمكن أن نُضيف إلي هذا المفهوم صفات أُخري كالأصالة، والطموح، والباعث الداخلي.

علي أن هذا لا يعني أن الحائز علي الموهبة،كما يُشير"سترانج" Strang يكون في غني عن بذل الجهد،بل إن التأكيد علي توظيف الذكاء يرتفع بمستوي مسؤولية الفرد عن استخدام إمكاناته بأقصي ما لديه من جهدٍ.

وتختلف خصائص وحاجات الأطفال ذوي القدرات الذهنية العالية عن خصائص وحاجات الأطفال الموهوبين في الفنون، والممارسات الآلية، والقيادة، وزعامة الأفراد.وقد يكون الطفل موهوباً من حيث الذكاء ولكنه يكون محروما من تلك المواهب الفذة،كما قد يكون ذا مواهب خاصَّة فذة ولكنه لا يكون في نفس الوقت خارق الذكاء،علي أن الشخص الموهوب بمواهب خاصَّة غير عادية يكون في حاجة إلي خبرات تستثير تلك القدرات الخاصَّة،فالموهوب بحاجةٍ إذاً إلي فهم واسع ومنوع وخصب.

وهناك مَنْ عرَّف الطفل الموهوب بأنَّه:" الطفل الذي يُبدي إمكانية إبداعية مستمرة في أحد المناشط الإنسانية القيمة".كما عرَّفه آخرون بأنَّه:" مَنْ أوتي طاقة عالية للتعليم حتى أنَّه يستطيع أن يتعلَّم أكثر من المنهج المقرر خلال الوقت المقرر وتحت الظروف المقررة".

أيضاً فالطفل الموهوب، هو:" مَنْ يمتلك قدرة استثنائية، أو استيعاباً فطرياً غير عادي في مجالٍ أو أكثر من المجالات العقلية، والإبداعية، والاجتماعية، والانفعالية، والنفسية".

هذا..وتتدخل فلسفة المُربي بشكلٍ واضح في تعريفه للأطفال الموهوبين،فالموهوبون في نظر الكثير من المُعلِّمين:هم أولئك الأطفال البارزين بسبب ما يؤدونه من واجبات مدرسية بتفوقٍ، وبسبب التزامهم بتنفيذ التعليمات،وبسبب مشاركتهم الجادة في المناقشات التي تدور داخلَ الفصل الدراسي،وقيامهم بما يُناط من مسؤوليات علي خير وجه.علي أن بعض المُعلِّمين يرون النبوغ لدي التلاميذ يتجلي في عمق التفكير،والحساسية والدقة التي تبرز من خلال الأسئلة التي يوجهونها إليهم.

obeikandl.com